الدليل الرابع / الدليل الوجودي .

ويُسمى برهان الاستعلاء والاستكمال، أو برهان المثل الأعلى.

وقد صاغه القديس (أنسلم) في صورته الأولى ، وقد صدر عن مبدأ مُعترف به من قبل المؤمنين والمُلحدين جميعاً، وهو: أن فكرة الإله موجودة في العقول ، فالملحِدون لا يجحدون تصورهم للإلوهية ، وإنما يجحدون وجود الإله .

وقد نقح هذا الدليل اللاحقون لـ(أنسلم) ، حتى بلغ كماله في فلسفة ديكارت ، وأوشك أن يُنسب إليه ، وفحوى هذا الدليل في صورته الجامعة :-

أن العقل الإنساني كلما تصور شيئاً عظيماً ، تصور ما هو أعظم منه بالمقابل ، لأن العقل الإنساني لا يعرف سبب القصور ، الوقوف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب ، والعقل الإنساني متطلع إلى أكمل منه ، ثم أكمل منه ، إلى نهاية فما من شيء كامل إلا والعقل الإنساني متطلع إلى أكمل منه ولا نقص فيها . وهذا الموجود النهايات ، وهي غاية الكمال المطلق التي لا مزيد عليها ولا نقص فيها . وهذا الموجود الكامل موجود لا محالة ، لأن وجوده في التصور أملٌ من وجوده في الحقيقة ، فهو في الحقيقة موجود ، لأن الكمال المطلق ينتفي عنه بسبب عدم وجوده ، ولا يبقى له شيء من الكمال ، بل نقص مطلق ، وهو عدم الوجود ، فمجرد تصور هذا الكمال مُثبت لوجوده .

الدليل الخامس / الدليل الأخلاقي .

وقد صاغ هذا الدليل الفيلسوف الألماني (كنت) وصورة هذا الدليل :

أن علامة الوازع الأخلاقي ، أو علامة الواجب ، أو علامة الضمير ، لا توجد في النفس الإنسانية بغير وجود إله ، إذ كيف يُدين الإنسان نفسه بالحق ، إن لم يكن في الكون قسطاس للحق يغرس في نفسه هذا الوجود ؟ وكيف تقرر في طبع الإنسان ، أن الواجب لديه أولى به من إطاعة الهوى المحُبب إليه ، وإن لم يطلع على دخيلة سره أحد ؟

فإن قيل : أن العادة الاجتماعية هي التي رسخت في النفس ، حتى استحالت إلى رغبة مقبولة ، نُجيب على ذلك :

بأن معرفة السبب لا تقضي إبطال الغاية أو فقدان الحكمة، فنحن نعلم: أن القطار يتحرك بغليان المرجل فيه، وأن المهندس المسؤول عنه قد مدَّ قضبانه ، لأنه يُكافأ على مدّها بأجرٍ يحتاج إليه . وأن نُظّار المحطات يُسَّيرون حركة القطار ، لأنهم مجزيون على ذلك بأجر أيضاً ، أو معاقبون على إهماله ؟

ولكن ذلك كله لا يبطل الغاية ، ولا يقضي بمسير القطار لغير حكمة ، وقيام العمل كله غير تدبير .

المطلب الأول
توحيد الله تعالى

تعريف التوحيد والوحدانية

التوحيد لغة : (هو الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد ، وإذا وُصِفَ الله عز وجل بالواحد فمعناه هو الذي لا يصح عليه التجزي ولا التكثر) .

والتوحيد على زنة تفعيل مثل (تمهيد وتسديد) يُراد به المُبالغة في التأكيد خصوصاً إذا زِيْدَ الفعل مثل ، مَهَّدَ تمهيداً وسَدَّدَ تسديداً ، ومِثله ، وَحَّدَ المؤمن ربه توحيداً .

التوحيد اصطلاحاً : (هو أسم للعِلمِ الذي يُبحث فيه عن وجود الله تعالى وما يجب أن يثبت له وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن يُنفى عنه).

وقيل التوحيد : (هو الاعتقاد بأن الله عز وجل واحد في الإلوهية والأزلية لا يشبهه شيء ولا يجوز أن يُماثلهُ شيء ، وإنهُ فردٌ في العبودية لا ثاني لهُ فيها على الوجوه كلها (الأسباب) .

وقيل أيضاً التوحيد : (هو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ، ويتخيل في الأوهام والأذهان) وهو ثلاثة أمور :

١. معرفة الله تعالى بالربوبية .
٢. الإقرار بالوحدانية .
٣. نفي الأنداد عنه جملة .

وهناك لفظ آخر مُرادف لمعنى التوحيد هو (الوحدانية) والتي هي مصدر مأخوذ من واحدة أيضاً بزيادة الألف والنون للمبالغة.

ويُراد بالوحدانية : أنه لا ثاني لهفي ذاتهِ ولا في صفاتهِ ولا في أفعالهِ، فتشمل الوحدانية ثلاثة أوجه:-

أحدهما: نفي الكثرة في ذاته تعالى.

الثاني: نفي النظر له عز وجل.

الثالث: انفراده تعالى بالايجاد والتدبير، فلا مؤثر سواه تعالى، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ سورة الانعام (١٠٢).

ويُعد التوحيد عقيدة مُرتبطة بين المخلوق والخالق (الإنسان والله تعالى) تعمل على نفي النظير لله تعالى في الإلهية ، ونفي الشريك معه .

والتوحيد صفة نفت وسلبت عن الله تعالى التعدد في الذات والصفات والأفعال ، وبذلك يكون واحداً لا شريك له في العبادة والخلق ، وبذلك يتحقق معنى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق في الوجود إلاّ الله تعالى .

ومن خلال ما ورد من كلمات أهل اللغة والاصطلاح ، نجد أن محور التعريفات قد تركز على أن الله سُبحانه لا شريك لهُ ولا شبيه له ولا نظير له جلَّ شأنه وتعالى .

ويمكن أن نوجز معنى الوحدة في الخلاصة الآتي ذكرها ، كي يتضح المفهوم العام لمعنى الوحدانية ، وهي كالآتي :

١. إن وحدة الله ليست تركيبية أي ليست مركبة من أجزاء .
٢. إن وحدته تعالى ليست وحدة عددية .
٣. إن وحدته تعالى ليست وحدة إضافية ، إلى جنس أو نوع أو فصل .
٤. إن وحدته تعالى ليست وحدة مُتخيلة في العقل على أي نوع كان .

وكون أن كل هذه الوحدات منطبقة على المخلوق الحادث لا يجوز أن تنطبق بحقه تعالى كونه الخالق وهو واجب الوجود .

(المطلب الثاني)

أدلة إثبات وحدانية الله تعالى

من خلال النصوص الشرعية

١. قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾